

# الراحل الشيخ علي الشرقي شاعر المعاناة والحب والنهوض

## جعفر المهاجر

دراسة في ثلاثة أقسام

القسم الأول

كثيرا ماكنت أردد مع نفسي ذلك البيت البسيط في صياغته العميق في معناه للشاعر الكبير المرحوم الشيخ علي الشرقي وهو:

قومي رؤوس كلهم  
أرأيت مزرعة البصل

وكلما تشدت الحرب الخفية والمعلنة اليوم بين المكونات السياسية العراقية التي تحكم العراق اليوم من أجل المصالح الفردية والحزبية والعشائرية أتذكر هذا البيت الخالد لأنه يعبر خير تعبير عما يعانیه شعب العراق اليوم من الرؤوس التي أخذت على عاتقها خوض المعركة مع بعضها البعض إلى النهاية وليأت من بعدها الطوفان على الوطن. وقد كتبت يومها مقالة عنوانها صدر هذا البيت ومن يوم كتابة تلك المقالة أحسست برغبة قوية للكتابة عن هذا الشاعر الكبير الذي يمثل شعره جزءا من تاريخ العراق. وبعد جهد جهيد في البحث عن ديوان الشاعر أسفر بحثي في الحصول على الديوان بمساعدة أحد الأصدقاء فأخذت عيناى تلتهم كل حرف فيه وقرأته عدة مرات وأسفرت قراءتي للديوان عن هذا البحث المتواضع أتمنى فد أدیت بعض الوفاء لهذا الشاعر الكبير الذي عشق العراق، وكتب أجمل القصائد المعبرة معاناة الفقراء من فلاحين وعمال من خلال رباعياته الرائعة : البلبل السجين والبلبل الطليق وقصائد التي تناولت حال الفلاحين البؤساء أمام فيضان الفرات الطاغي الذي إكتسح أكوأخهم الطينية ورحل عن الحياة فقيرا معدما وهو لايملك من حطام الدنيا شيئا. والشعر الأصيل هو الذي يبقى شامخا , يتجدد مع الزمن فترده الأجيال وتحتضنه الأمة، لأنه يمثل جزءا من حضارتها وتاريخها ورسالتها الإنسانيه وهذا ماتميز به شعر الشيخ

علي الشرقي. ولاشك أن الشاعر الكبير الشيخ علي الشرقي هو شاعر عراقي مبدع ، وأعطى من روحه وقلبه وكيانه ووجدانه شعرا خالدا لايبلى على مر الزمن.

هو الشيخ علي بن الشيخ جعفر بن الشيخ محمد حسن بن أحمد بن موسى بن حسن بن راشد بن نعمه بن حسين المعروف بالشرقي. ولد الشيخ الشاعر علي الشرقي في النجف الأشرف عام 1892م وتوفي عام 1964م وخلال هذا العمر البالغ 72 عاما عانى الكثير من الفقر والحرمان بعد أن ولد يتيما ولم تتح له ظروفه المادية الصعبة الاستمرار في الدراسة فكان القرآن منهله الثر الذي عرف منه ينابيع معرفته وكانت مكتبات النجف العامرة بشتى الكتب التراثية، وحوزتها العلمية وما تحوي رفوفها من ذخائر المعرفة لكتاب وعلماء وشعراء رفدوها بغزير علمهم لاتغيب أبدا عن هواجس الشاعر ورغبته الجامعة في الاستزادة منها منذ نعومة أظفاره. خاصة إذا علمنا أنه تتلمذ على يد الشيخ محمد جواد الشيببي والشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني وغيرهم من فطاحل اللغة والفقهاء والأدب والعلم والتراث.

إن شعر الشيخ علي الشرقي شهادة رائعة للحس الوطني والقومي الشريف الخالي من التعصب والاستعلاء والترف. لكنه كان رمزا للنضال الدؤوب ضد كل أعداء الإنسان وأمانيه وتطلعاته المشروعة في الحياة الحرة الكريمة. ويكاد يكون محور شعره الرئيسي حربا لاهوداة فيها على القهر والظلم والإلغاء الذي يمثله حكام لاهم لهم سوى إشباع بطونهم ورغباتهم المادية وتلك الطبقة الإقطاعية الطفيلية التي كانت تعيش في ظلهم، وتمتص دماء الفلاحين وعرقهم، وتسرق ثمرة جهودهم المضنية لقاء أجر زهيد لايسد رمقهم ورمق عوانلهم. وقد صدر ديوان الشاعر الذي ضم جل شعره عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية عام 1979م حيث أشرف الأستاذان الدكتور إبراهيم الوائلي وموسى الكرباسي على جمعه وتحقيقه وذلك بعد عناء طويل لقياه أثناء جمعهما له حيث كان قبل ذلك تحنويه أوراق متناثرة في مكتبته وفي أماكن أخرى كادت تضيع ويطوى عليها النسيان.

يقع الديوان في 462 صفحة من الحجم الكبير وقد تضمن معظم قصائده ورباعياته ومزدوجاته التي عالجت مختلف شؤون الحياة بلغة شعرية أنيقة ومؤثرة بعيدة عن الحشو والتكلف والغموض. يقول المحققان في مقدمة الديوان: (لم يقتصر الشرقي على الشعر فقد كان ناثرا لاتبخل عليه بأن نعه من كبار الكتاب في البلاد العربية وقد كتب في موضوعات تاريخية واجتماعية وسياسية وأدبية وكانت لغته

في النثر أشبه بلغته في الشعر فقد كان يكتب بحثاً أو دراسة أو مقالة كأنه كان ينثر شعراً) . والشاعر له عدة مؤلفات يجدها القارئ في مقدمة الديوان ولكن الذي يهمننا في هذا البحث هو شعره فقط.

إن معظم شعر الشرقي يمثل أخلاقية شاعر أصيل متمكن من أدواته الشعرية وهب نفسه لوطنه العراق ،وجند قلمه لمقارعة الظلم والظالمين وكل أنواع القهر والتخلف وعندما تتفجر قريحته شعراً من أجل وطنه ينقلنا إلى عوالم وجدانية وإنسانية تنبض بحرارة الانتماء إلى تربة العراق وحضارته العريقة الضاربة في أعماق الأرض والتأريخ وهو أينما حل هاجسه الوحيد وطنه العراق وكلما ابتعد عنه يشعر بالحنين الجارف له لأنه قطعة منه لا يطيق العيش بدونه . ويشبه نفسه بالنبتة التي تستمد بقاءها من تلك التربة الطاهرة المعطاء حيث يقول في إحدى قصائده:

هل المرء إلا قطعة من بلاده

وما اندفعت إلا لتشعر بالجدب

وإني لأوطاني كنبت بحقلها

إذا نزعوه جف عن ناظر رطب

وهو يتمنى أن تعيش كل شعوب الأرض في محبة وصفاء وونام بعيداً عن التناحور والحقد والكراهية وهذا الأمر هو أحب الأشياء إلى قلبه:

حبيب لقلبي أن أرى كل موطن لآخر موصولاً برابطة الحب

وفي قصيدة أخرى يخاطب بها الوطن بأبيات تقطر عذوبة وشفافية وجمالاً حيث يقول :

وطنني المفدى أي سرف في هـواك الطهر عالق  
أمن الثرى هذي الدمى ومن السورى هذي الغرائق  
ومن التراب وما التراب - خلقت أوراق الحـدائق  
لله فيك عناية جعلتـك مخلوقاً وخالق



